

في البدء كانت الرؤيا

في قرية دقادوس حيث مسقط رأس الشيخ. كانت البداية. وفي حوار تلفزيوني له يقول الشيخ " لقاء الإيمان ":

نعم ، لم أكن أرغب في دخول الأزهر.. لأنني لم أكن أريد أن أبعد عن بلدي الصغيرة.. عن دقادوس الجميلة.. عن الأرض التي أحببتها ، المزارع والحقول ، عن حدائق الليمون والعنب ، عن النيل والرياح والجزر التي تغمرها مياه الفيضان ثم تنحسر عنها فتكسوها الخضرة و كنت أحب أن أكون مزارعا ، وأن أبقى في دقادوس.

دقادوس الجميلة التي لم أكن أطيق البعاد عنها ، هي القرية التي فيها ولدت ، وعشت طفولتي وصباي وشطرا من شبابي ، ورغم تغريبتني الطويلة ، وتجوالي هنا وهناك ، فهي ما زالت في القلب وعلى اللسان.

في دقادوس كانت البدايات:

وتعد دقادوس هي إحدى قرى مصر العتيقة. وهي على مسافة أمتار من مدينة ميت غمر محافظة الدقهلية. وقد من الله عليها بالموقع وإن ضيق عليها في المساحة ، فكان تعدادها حوالي ١٥ ألف نسمة ، وزمامها يربو على الـ ٨٠٠ فدان ، وبينها وبين ميت غمر شريط السكة الحديد ، وقد أفاء الله على أهلها وأعطاهم خيرات كثيرة.

فهي شبه جزيرة ، من الناحية الغربية تجد نهر النيل ، فرع دمياط ومن الناحيتين الشرقية والشمالية تجد الرياح التوفيقية.

وقد كنا نسمع أن اسم " دقادوس " هو تحريف لاسم " دقلديانوس " وكان حاكما من حكام الرومان ، وكان له قصر في بلدنا على النيل ، وكان

القصر عبارة عن استراحة من الاستراحات العديدة التي كان بينها على امتداد النيل.

والمؤرخ الجبرتي تكلم عنها ، وقال: إن منها الشيخ أحمد القدوسي الذي كان ماهرا في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها. وقبل أن تتوسع دقادوس كانت تحتوي على أربع حارات كبيرة.

١- حارة الباز ، والاسم لشيخ من شيوخ الصوفية.

٢- حارة الجامع الكبير ، نسبة إلى أكبر جوامع القرية.

٣- حارة أبو بكر السطوحى. نسبة إلى اسم الجامع الملحق به ضريح ومقام أبي بكر السطوحى. ٤- حارة الشيخ عبدالله الأنصاري وهي الحارة التي ولدت فيها في ١٥ أبريل ١٩١١.

والآن دقادوس لم تعد هي تلك القرية الصغيرة التي كانت قبيل ٨٤ سنة يوم ولدت فيها فقد توسع وكبرت وانتشر العمران فيها ومن حولها وأصبحت جزءا من ميت غمر. صارت " قسم ثان " ميت غمر.

ورغم بعد الفاصل الزمني. إلا أنها لا تزال في كياني وذكرياتي هي نفسها القرية التي رأيته. وجريت في شوارعها وحواريها. وسبحت في ترعها ونيلها. وتعلمت في كتابها القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم على شيوخها ولم أكن أريد البعاد عنها أو فراقها ،

وفي حوار للشيخ تكلم فيه عن تنشئته الدينية. قال:

ما زلت أذكر وقائع أيام طفولتي.. لقد تعلمنا في " الكتاتيب".. تعلمنا القراءة والكتابة والنطق السليم. وكانا نستخدم الألواح.. ألواح الأرداز.

وكانت المرحلة الأولى في تعلم القراءة والكتابة هي مرحلة النقط.

والتنقيط. كان " عريف الكتاب " يمسك " اللوح " ويقوم بوضع " النقط " التي تصور كل الكلمة.. أي أنه كان يكتب الكلمة " بالنقط " مثل " قل هو الله أحد ".

ويقوم الطفل بتوصيل " النقط " بعضها ببعض ، وبهذه الطريقة يجد الطفل نفسه قد صور الكلمة بالكتابة. ثم تأتي مرحلة الحفظ الجماعي. العريف يقول: والأطفال يرددون وراءه: " قل هو الله أحد "... ومن ثم نحفظها. وتشرع أيديهم على كتابتها في اللوح.. وبطريقة التنقيط يتعلمون شكل وهندسة الكلمة.. ويتعلمون قراءتها.

"والعريف " الذي كان يقوم بهذه المهمة في الكتابات أيام زمان ، كان مبصرا بطبيعة الحال.. أما الشيخ فليس ضروريا أن يكون كذلك..، وإذا كانت مهمة العريف هي التنقيط والقراءة فمهمة " الشيخ هي التحفيظ وتصحيح النطق.

وفي أيامنا كان شيخ الكتاب يتقاضى أجرا قدره " قرش تعريفه " في الأسبوع. وكان الأجر يقدم له كل يوم خميس.

أما أطفال الموظفين فكانوا يدفعون للشيخ " شهرية " "قرشين صاغ". والذين ليس عندهم فلوس كانوا يقدمون للشيخ " رغيفين عيش " أو عدد من " كيزان الذرة ".

وبالنسبة لي كان الشيخ الذي تعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم علي يديه هو " الشيخ عبد المجيد باشا "

علي يد شيخي هذا حفظت القرآن وأنا في العاشرة.. وعلى الرغم من كبر هذا الشيخ شيخوخته فقد كنا جميعا نهابه ونخشى عكازه و " الفلكة " التي

كان يعلقنا فيها إذا نحن لم نحفظ حفظا جيدا ، أو لم ننطق نطقا سليما .
وكان والدي يقول له " : اضربه واكسر له ضلعا إذا هو أهمل في شيء .
وكثيرا ما أخذت نصيبي من هذه " الفلكة " .

وما زلت أذكر " العلقة " الساخنة التي أخذتها بسبب النطق الخطأ للآية
التي تقول " " حم عسق " ولهذه الجملة في القرآن نطق خاص غير كتابتها .
فهي تنطق كل حرف مفردا هكذا : " حا ميم .. عين .. سين .. قاف " .. ولكنني
أخطأت ونطقتها كما كتبتها في اللوح هكذا : " حم عسق " .. فأدرك الشيخ
عبد المجيد أنني لم أصغ إليه جيدا وهو ينطقها ، فوضعني في " الفلكة " .
وكانت العلقة ساخنة . ولم ينفع الصراخ ولا الاستغاثة !

وقد عرفت بعد ذلك لماذا نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ " مسموعا
وليس مكتوبا " وهذا إعجاز من إعجاز القرآن . وإعجاز من إعجاز رسول الله
ﷺ بعد أن سمعه ، وهو الأمي من جبريل عليه السلام .

كانت دقادوس مشحونة " بالهبات الدينية الروحية " ومشغولة بها على
مدار السنة ، ثم يأتي رمضان كتتويج لهذه الهبات الدينية الروحية .

فإلى جانب المناسبات الدينية كالميلاد النبوي والإسراء والمعراج أو
العيد الكبير أو العيد الصغير أو فترة الحج وما يصاحبها من احتفالات .. إلى
جانب كل ذلك .. كان عندنا خمسة مشايخ طرق .

طريقة سيدي أبو خليل

طريقة أبو الحسن الشاذلي

طريقة سيدي أحمد الرفاعي

طريقة سيدي عبد القادر

طريقة سيدي أحمد البدوي

ولكل طريقة مريدون وبالطبع كل أتباع طريقة قد يدعون شيخ الطريقة إلى البلدة في بعض المناسبات و وكان عندما يأتي شيخ من هؤلاء المشايخ تكون البلدة كلها في حالة احتفال ، وتجد مميع المساجد عامرة والخير منتشر فقد كان كل بيت يوجد بما لديه " يطلع صينية أكل " .

وإذا كان عندنا خمسة مشايخ طريق.. ولك شيخ يأتي ويقيم في القرية لمدة ١٥ يوم.. فمعنى هذا أن جميع شهور السنة كانت لا تخلو من مناسبة لتأجيج المشاعر الدينية لدى الناس.

ومع الاحتفالات الدينية كانوا يوزعون علينا كتيبات مثل " دلائل الخيرات " فكنا نقرأها ونحفظها عن ظهر قلب. ولكل ذلك كانت النشأة هي نشأة دينية منذ الصغر.

كانت هذه بعضاً من قبسات من ذكريات الشيخ.. في عالمه الأول "دقادوس".
